مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر: 30–05–2019

القيم والهوية: بين الخصوصية والكونية على ضوء الهدي النبوي

Values and identity: between privacy and universality in the light of the Prophet's guidance

د. اكرم بلعمري
جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي

Akrambell19@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 27–11–2018 تاريخ القبول: 29–04–2019

الملخص:

تتناول هذه الورقة إشكالية العلاقة بين القيم ومسألة الهوية، وحدود العلاقة بينهما، بين كونية القيم وخصوصية الهوية، وخصوصية القيم وكونية الهوية، من منطلق التجربة والتعامل النبوي والشواهد من السنة النبوية، وقد تحدد موجز القيم في قيمة الانتماء إلى الإسلام عقيدة وشريعة، وخصوصية هذا الانتماء التاريخي، وقد تبين من خلال هذه الورقة تميز الهوية الإسلامية بجملة من القيم الإسلامية، تضمن لها الامتدادين الزماني والمكاني.

الكلمات المفتاحية: القيم؛ الهوية؛ الخصوصية؛ الكونية؛ السنة النبوية.

Abstract:

This thesis deals the relationship between values and identity, and the limits of these two things relationship and deals the universality of values and the specificity of identity, the specificity of identity and the universality of values according to the experience and the prophetic act and the Hadiths of Sunnah. The values were summarized in the value of belonging to Islam: Aqida and Shariah and the specificity of this affiliation to the history of Islam. In this regard, the Islamic identity has been characterized by

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

a lot of Islamic values which guarantee temporal and regional expansion.

Keywords: Values, Identity, Privacy, Universality, Prophet's Sunnah

المقدمـــة:

تشكل الهوية الإسلامية مرتكزا أساسيا في بناء الشخصية الوطنية، انطلاقا من مبادئ الشريعة الإسلامية ودورها في اعتبار الانسان المسلم كأنموذج للبناء الحضاري، وانطلاقا من المبادئ النوفمبرية التي أرستها الثورة الخالدة، لأجل ذلك تعتبر القيم الإسلامية المنبثقة من الإسلام عقيدة وشريعة مشكلا أساسيا من مشكلات الهوية العربية الإسلامية، ولقد بينت السنة والسيرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التسليم مثالا حيا لإرساء مختلف القيم الإسلامية، حال السلم والحرب، وحال الضعف وحال التمكين، من خلال ترسيخها لقيم الانتماء للعقيدة والشريعة الإسلامية، وكذا إرسائها لمختلف القيم الإنسانية العالمية كقيمة التعايش والحوار الحضاري، بين الهويات المتباينة في المجتمع الواحد.

لأجل ذلك اعتبرت المرحلة النبوية من أتم المراحل التي شكلت النموذج الأمثل لبناء مجتمع إسلامي عالمي يتميز بقيمه الحضارية الإسلامية التي تكسبه الخصوصية الثقافية المنبثقة من الدين واللغة والهوية، وكذا اعتباره مجتمعا كونيا أرسى دعائم التعايش بين المجتمعات المختلفة في ظل القيم المنبثقة من تعاليم الإيمان والشريعة.

ولقد أرست السنة والسيرة النبوية عبر ثلاث وعشرين سنة القيم الحقيقية للإسلام، كما بينت القيم الأصيلة التي تسهم بمجموعها في تشكيل الهوية الإسلامية ذات الخصوصية الثقافية من جهة، وذات البعد الكوني العالمي من جهة أخرى، فماهي أهم القيم التي دعمتها

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

السنة والسيرة، وما أثرها في تشكيل الهوية الإسلامية، وما هي معالم الخصوصية والكونية للقيم الإسلامية؟

لأجل ذلك انتظمت هذه الورقة العلمية لتسهم في الإجابة عن هذه الأسئلة المحورية من خلال الهندسة التالية:

المبحث الأول: مدخل دلالي: القيم والهوية.

وفيه بيان معنى كلمتي القيم والهوية في اللغة والاصطلاح.

القيم: لغة واصطلاحا.

كلمة القيم جمع مفرده "قيمة"، وأصلها في لغة العرب من الفعل الثلاثي "قوم"، وهو بمعان متعددة، منها الثبات على الشيء، قال ابن منظور:" من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه". وقال تعالى: "**لَيْسُوا سَواءً من أَهل الكتَاب أُمَّةٌ قَائمَة**" آل عمران 113؛ إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به.[1]

والقيمةُ، بالكسر: واحدةُ القِيَمِ. وما لَه قِيمةٌ: إذا لم يَدُمْ على شيءٍ[2]

فالقيم معناها الثبات على كل أمر، ومنه يمكن أن نستخلص العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمة، هو كون القيم بمعنى التصور تجاه الأشياء والمعاني التي تعمل على ضبط

[1]– ابن منظور: لسان العرب، 501/12.

[2]– الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ت محمد نعيم العرقسُوسي، ط 8، 1426 هـ – 2005 م، مؤسسة الرسالة لبنان، 1152/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

الفكر والسلوك، ويطلب فيها الثبات أي الالتزام بها على كل حال، خاصة ما كان مصدرها إلهيا فلها صفة الديمومة والثبات وعدم التبدل والتغير.

القيم اصطلاحا:

مصطلح " القيم" من المصطلحات الحادثة في زماننا، ولم تكن معروفة عند المتقدمين من أهل الاصطلاح، غير أن الكثير من المعاصرين تناولوه بالتعريف تبعا للخلفية الفكرية لكل من يعرّفه، سواء كانت نفسية أو فلسفية أو تربوية أو اجتماعية أو إسلامية.

ولعلّ ما يناسب من هذه التّعاريف المختلفة ما وضعه المفكرون المسلمون لمعنى القيم، كونه يتناسب مع موضوعنا، وبما أن مصادر المعرفة لدى المسلمين تتمحور حول الوحي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية، فمعنى ذلك أن يكون مفهوم القيم مستوحى منهما، بحكم أنهما يضبطان التّصور والسّلوك تجاه الكون والحياة، وعليه يمكن أن نعرّف القيم بجملة " الأحكام التي يصدرها المرء على أي شيء مهتديا في ذلك بقواعد ومبادئ مستمدة من القرآن والسنة وما تفرع عنهما من مصادر التشريع الإسلامي أو تحتويها هذه المصادر وتكون موجهة إلى الناس عامة ليتخذوها معايير للحكم على كل قول وفعل ولها في كل وقت تأثير عليهم".[1]

أي أن القيم هي مجموع التصورات المنضبطة بأحكام الشريعة الإسلامية، وهي الموجهة لنظر المسلم تجاه: الخالق، والكون، والإنسان، وهي بذلك تحمل معنى واسعا من مجرّد

[1]– مساعد بن عبد الله المحيا: القيم في المسلسلات التلفازية، ظ1، 1414هـ، دار العاصمة، الرياض، ص 80.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

حصرها في المجال الأخلاقي، وإن كانت الأخلاق جزءا منها، لكنها لا تعني بالضرورة انحصارها فيها، وعليه يمكننا أن نعتبر القيم تشمل: القيم الإيمانية، والتربوية، والسلوكية، والعلمية، والعملية.

الهوية: لغة واصطلاحا.

يجري الحديث عن تعريف الهوية كمصطلح حادث، ومعرفة دلالاته اللغوية في كلام العرب، ثم بيان مدلوله الاصطلاحي، لنستخلص معنى الهوية الإسلامية كمصطلح مركب.

المطلب الأول: مفهوم الهوية.

ينبغي تحرير هذا المصطلح ابتداء في كلام العرب، وبيان معناه.

أولا: الهوية لغة.

الهوية بفتح الهاء هي موضع السقوط كما ورد في لسان العرب لابن منظور قوله:" الهوية: موضع يهوي من علية أي يسقط؛ يصف فوت الأمر وصعوبته بقوله عرش هوية"[1]، ... وهوية تصغير هوة، وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة.[2]

أما الهوية بضم الهاء فهي من الضمير (هو)، وهي مصطلح حادث لم تعرفه العرب في لغتها.

وقد ورد هذا اللفظ (هو هو) في حديث صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت:" كنتُ أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني

[1]– ابن منظور: لسان العرب، ط 3، 1414 هـــ، دار صادر، بيروت، 316/6.

[2]– المصدر نفسه: 374/15.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

دونه، فلما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء غدا عليه أبي وعمي مغلسين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالين ساقطين، يمشيان الهويني، فهششت إليهما كما كنتُ أصنع فو الله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم، وسمعتُ عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال عمي: أتعرفه وتثبته؟ قال: فما في نفسك؟ أجاب: عداوته والله ما بقيت.[1]

وفي حديث عتبة بن عبد السلمي، أن رجلا، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال:" كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا، وابن لها في بهم لنا، ولم نأخذ معنا زادا فقلت: يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي، وكنت عند البهم، فأقبل طيران أبيضان كأنهما نسران. فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم ...".[2]

والشاهد من الخبرين السابقين هو قوله "أهو هو"، أي هو المقصود بجملة الصفات والميزات المذكورة عنه.

إذن فمصطلح الهوية من المصطلحات الحديثة في اللغة العربية، وهو مصطلح أفرزته الظّروف الاجتماعية العالمية، والعلاقات الحديثة بين المجتمعات المختلفة، ولذا لا نجد ذكرا له

[1]– ابن هشام: السيرة النبوية، ت طه عبد الرؤوف سعد، دط، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 119/2.

[2]– الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط1، (1411 هـ– 1990م)، دار الكتب العلمية، بيروت، 673/2، قال عقبه:" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

في كتب المتقدّمين، وخاصة أصحاب القواميس والمعاجم المتوسّطة في اللغة العربية، ومصطلح الهوية يقابل في اللغة الأجنبية كلا من مصطلح Nationalité ومصطلح Identité، اللّذان لهما نفس المدلول، والهوية في اللّغة العربية؛ اسم منقول من المصدر الصناعي هوية المأخوذ من كلمة "هو"[1]، وتعني الحقيقة المطلقة في الأشياء والأحياء، المشتملة على الحقائق والصّفات الجوهرية والثّـــابتة.[2]

ثانيا: الهوية اصطلاحا.

عرف الجرجاني الهوية في كتابه (التعريفات) بالقول هي:" الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق".[3]

فهناك علاقة وطيدة بين التعريف اللّغوي لكلمة هوية، والتّعريف الاصطلاحي، والذّي نقصد به؛ هوية الفرد، أو ما يميّزه عن الآخر سواء كان فردا ينتمي لحضارة غربية أم شرقية أم لحضارة عربية إسلامية، تتميز عن الأخرى بجملة من القيم تنفي التطابق مع غيرها. فإذا كانت الهوية في اللّغة هي الحقائق الثّابتة في الأشياء والأحياء، فهي في الاصطلاح الشّفرة التّي

[1]– عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، دار الشروق القاهرة، الطبعة الثانية، 2001 ص9.

[2]– جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين بيروت، ط5، 1986، ج2، ص1580.

[3]– الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، ت جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1 (1403هـ – 1983م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 257.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التّي ينتمي إليها، والتّي عن طريقها يتعرّف عليه الآخرون باعتباره منتميا إلى تلك الجماعة.[1]

وهذه الشّفرة هي نتيجة عملية تفاعل مركّبة بين الإنسان الفرد من جهة، وبين مجتمعه وثقافته وتاريخه والبيئة الطبيعية والاجتماعية من جهة أخرى، على مدى زمني معقول،[2] ومن خلال عملية التّفاعل هذه، تتشكّل هوية مجتمع ما، وتتكوّن الملامح الحقيقية له، التّي تنتقل في الغالب بالوراثة الاجتماعية داخل الجماعة وتظلّ محتفظة بوجودها وحيويتها بينهم[3]، حيث تمثّل في نهاية الأمر هذه الهويّة الوقود الذّي تنصهر فيه النّفوس، وتنسبك به السّجايا، وتتبلور فيه الشّخصية الهوية.

ومن خلال هذا التّعريف للهويّة، يمكن أن نستنتج عدّة عناصر، لابدّ منها في تكوين هوية الإنسان أو الجماعة، ليحصل بها فيما بعد التميّز والاختلاف، وهذه العناصر تتمثّل في:

– إن العناصر المكونة للهوية لابدّ لها من فترة زمنية معقولة، لكي تتبلور وتتفاعل فيما بينها، فالتّاريخ المشترك للأفراد والجماعات سمة أساسية وجوهرية في تحديد معالم الهوية، وتحديد نقاط تميزها واختلافها.

[1]– رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1997، ص07.

[2]– عبد الوهاب المسيري: من هو اليهودي، ص09–11.

[3]– رشاد الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، ص07.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

– من العناصر المهمّة في تكوين الهوية، التراث الإبداعي للجماعة[1]، أو ما يصطلح عليه بالتّراث الثقافي، الذّي يشتمل بدوره على عدة عناصر منها: العادات والتّقاليد والدّين أو الأساطير، والمنظومة القيمية والأخلاقية.

– يعتبر كذلك الواقع الاجتماعي للجماعة، والذّي هو في مجمله الطّابع الذّي تتخذه الجماعة في حياتها نتيجة تفاعلها مع ما حولها من الواقع الطّبيعي والدّيني والقيمي والتّراثي، من أهمّ عناصر الهوية.

– إن الواقع الطّبيعي، أو الحيّز الجغرافي للجماعة، من أهمّ العناصر الضّرورية في تشكيل هوية الجماعة، إذ يعتبر بمثابة الإناء الذّي تتفاعل فيه كلّ العناصر السّابقة، بالإضافة إلى أنّـــه يلعب دورا كبيرا في صبغ طابع حياة الجماعة وفق ما تقتضيه تشكيلاته الجغرافية والطبيعية.[2]

المطلب الثاني: معنى الهوية الإسلامية.

إذا كانت الهوية كما عرفها ابن حزم:" وَحَدُّ الهوية هو أن كل ما لم يكن غير الشيء فهو هو بعينه، إذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة، فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر".[3] تعني حقيقة الشخص أو الجماعة، وجملة ما يميزهما عن الآخرين من الصفات الجسمية والخَلقية والخُلقية والعقلية والنفسية، فما المقصود بالهوية الإسلامية؟

[1]– رشاد الشامي: المرجع السابق، ص7.

[2]– يوسف العايب: إشكالية الهوية، مذكرة ليسانس، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004م.

[3]– ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 107/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

إن المعنى المراد بالهوية الإسلامية انطلاقا من تعريف الهوية السابق هو جملة المحددات التي تميز الشخصية الإسلامية عن غيرها كالمعتقد الذي يمثل الخلفية الفكرية للمجتمع، وكالقيم التي ينضبط بها ذلك المجتمع من حيث الآداب والسلوك والأخلاق وغيرها.

فـــ" الهوية انتساب ثقافي... والهوية انتساب إلى معتقدات وقيم ومعايير معينة".[1]

وبالنظر إلى جملة ما يتميز به المجتمع الإسلامي من معتقدات وقيم ولغة وتاريخ، يمكن أن نستلهم معنى الهوية الإسلامية، أنها محصلة تفاعل الدين واللغة والتاريخ، وتأثر الفرد المسلم والجماعة المسلمة بهذه المقومات لتشكل بذلك هوية إسلامية متميزة بخصوصيتها من حيث الإسلام كدين وأساس تنصهر فيه سائر المحددات الأخرى. وعليه فالهوية الإسلامية هي كل ما يميز المسلمين عن غيرهم من الأمم الأخرى، وقوام هويتهم هو الإسلام بعقيدته وشريعته وآدابه ولغته وتاريخه وحضارته المشتركة بين كل شعوبه على اختلاف قومياتها.[2]

المبحث الثاني: قيمة الانتماء الإسلامي من خلال الهدي النبوي.

الانتماء الإسلامي= العقيدة، الشريعة.

الهوية ترتكز أساسا على معتقدات الفرد ومسلماته الفكرية، بغض النظر عن مدى صدق هذه العقيدة أو خطئها، والهوية الإسلامية تقوم على عقيدة توحيد الله تعالى، وهي الأساس الأول الذي يجمع بين كل المسلمين ويوحّدهم على هوية واحدة، ولا عبرة باختلاف الانتماء القومي أو الوطني أو اللغوي، فكل من يعتقد بوحدانية الله تعالى ورسولية محمد صلى

[1]– جعفر شيخ إدريس: المواطنة والهوية، مجلة البيان، ع 211، ص 09، نسخة المكتبة الشاملة.

[2]– حاكم المطيري: المحافظة على الهوية الإسلامية في ضوء السنة النبوية http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TmpJM0psTjFZbEJoWjJVbU1RPT0rdQ==.jsp

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

الله عليه وسلم ويلتزم بمقتضيات التوحيد، فهو منتم إلى الهوية الإسلامية مهما كان عرقه ونسبه ونسبته، لقوله صلى الله عليه وسلم كما في الحديث عن أبي نضرة، قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال:" يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى".[1]

فأساس المفاضلة بين من ينتسب للهوية الإسلامية يقوم على معيار مدى الإيمان بالله تعالى وتحقيقه على مستوى الفكر والسلوك.

ومن منظور السنة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التسليم فإن الانتماء إلى أي هوية أخرى غير هذه الهوية يعد أمرا لاغيا بحكم عالمية هذا الدين، فقد روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار".[2]

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم مرات عدة من خطورة الانسلاخ الحضاري والبعد عن الهوية الإسلامية وذلك بتقليد الهويات الأخرى، نظرا لتأثير الثقافات الوافدة على

[1]– أحمد بن حنبل: المسند، ت شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (1421 هـ – 2001 م)، مؤسسة الرسالة، 474/38.

[2]– مسلم: الصحيح، ت محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 134/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

المجتمعات الإسلامية، بحكم الانفتاح الإعلامي على مختلف الهويات، مما يقتضي ضرورة التمسك بخصوصية الهوية الإسلامية والمحافظة عليها من الذوبان في الهويات الأخرى بدعوى العولمة وإزالة ما تتميز به الهوية الإسلامية، خاصة في ظل ضعف المجتمعات الإسلامية ونزعتها نحو تقليد الآخر، ففي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ". قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟، قال:"فمن".[1]

ومن مرتكزات الانتماء إلى الهوية الإسلامية الانتماء لشريعة هذا الدين والالتزام بما يميز الهوية الإسلامية من عبادات ومعاملات وقيم، لذا أولت السنة النبوية خصوصية للجانب التعبدي عند الشخصية الإسلامية من خلال تشريعات مخصوصة تعطي الخصوصية لهوية المسلم، ومن ذلك تشريع صفة الصلاة والصوم والحج، وغيرها من سائر المعاملات المالية المختلفة وتحريم كل ما يشوبها. ولأجل ذلك نهى المصطفى صلى الله عليه وسلم عن التشبه لأجل الحفاظ على الهوية الإسلامية في أبسط الأحوال، فعنه صلى الله عليه وسلم قال: "ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف".[2]

[1]– البخاري: الجامع الصحيح، ت مصطفى ديب البغا، ط3، (1407 هـ– 1987م)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 2669/6.

[2]– الترمذي: السنن، ت إبراهيم عطوة عوض، ط2، (1395 هـ – 1975 م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 57/5.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

ومن أمثلة الجانب التشريعي التي تبدي معالم الهوية الإسلامية في هذا الجانب، لما اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بما يجمع به المؤمنين للصلاة، ذكر له أمر اليهود والنصارى فامتنع عن ذلك لخصوصية المجتمع المسلم، فعن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: اهتم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القُنعُ، يعنى شَبُورُ اليهود، فلم يعجبه ذلك. وقال: "هو من أمر اليهود"، قال: فذكر له الناقوس. فقال: "هو من أمر النصارى". فانصرف عبد الله بن زيد وهو مهتم لهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأري الأذان في منامه، قال: فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: يا رسول الله، إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت فأراني الأذان، قال: وكان عمر بن لخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوما، قال: ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له:" ما منعك أن تخبرني؟ فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بلال، قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله". قال: فأذن بلال.[1]

فكان الآذان بذلك سمة المجتمع الإسلامي، وميزة من مزاياه، يختلف عن بوق اليهود وناقوس النصارى. ومن أمثلة الخصوصية التشريعية التي تحمل معنى المخالفة لما كان عليه اليهود والنصارى في تشريعاتهم، الصلاة في الخفاف والنعال، عن يعلى بن شـــداد بن أوس

[1]– أبو داود: السنن، ت شعيب الأرناؤوط، مَحَمَّد كامِل قره بللي، كتاب الصلاة، باب بدء الآذان، دار الرسالة العالمية، ط1، (1430 هـــ – 2009 م)، 369/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم".[1] ومن الأمثلة أيضا على هذه الخصوصية: النهي عن الاشتمال في الثوب في الصلاة[2]، والفصل في الصوم[3]، وتعجيل الفطر.[4] وكل هذه الشواهد الحديثية وغيرها تروم إلى

[1]– المصدر نفسه: كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، 486/1.

[2]– روى ابن خزيمة في الصحيح عن نافع قال: رآني ابن عمر وأنا أصلي في ثوب واحد، فقال: ألم أكن أكسك ثوبين؟ قال، قلت: بلى، قال: أرأيت لو أرسلتك في حاجة أكنت منطلقا في ثوب واحد؟ قلت: لا. قال: فالله أحق أن تزين له. ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا لم يكن لأحدكم إلا ثوب واحد فليشد به حقوه، ولا يشتمل به اشتمال اليهود".

– صحيحُ ابن خُزَيمة: ابن خزيمة، ت محمد مصطفى الأعظمي، كتاب الصلاة، باب الرخصة في الصلاة في بعض الثوب الواحد يكون بعضه على المصلي، وبعضه على غيره، ط3، (1424 هـ – 2003 م)، المكتب الإسلامي، 398/1.

[3]– في الحديث عن عمرو بن العاص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب، أكلة السحر".

– مسلم: الصحيح، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر، المصدر السابق، 770/2.

[4]– في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر، إن اليهود يؤخرون".

– النسائي: السنن الكبرى، ت حسن عبد المنعم شلبي، كتاب الصيام، الترغيب في تعجيل الفطر، ط1، (1421 هـ – 2001 م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 370/3.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

بيان ميزات الانتماء للهوية الإسلامية في جانبيها العقدي والتشريعي، وهذه الميزات تضفي على هويتنا التميز ما يحفظ لنا جانب الخصوصية الدينية في الانتماء الى الإسلام كأعظم دين وأبلغ شريعة، قال تعالى:" **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (33)". سورة فصلت.

الخصوصية التاريخية للمجتمع الإسلامي على ضوء الهدي النبوي.

الانتماء إلى الهوية الإسلامية يعني الانتماء إلى التاريخ الإسلامي بأمجاده وبطولاته، ويعني أيضا الانتماء إلى التاريخ الإنساني "كلكم لآدم وآدم من تراب"، غير أن الخصوصية التي تمتاز بها الهوية الإسلامية منفردة بذلك عن جميع الهويات والثقافات، هي الانتساب للنبي صلى الله عليه وسلم، والانتساب إلى الرسول الكريم كقائد لهذه الأمة هو انتساب للإسلام مرجعية، تاريخا وحاضرا ومستقبلا، وأن الانتساب للتاريخ الإسلامي لا يعني مجرد الانتساب إلى تاريخ الأوطان فقط، إنما تاريخ الأوطان في ظل الإسلام جزء هويتنا الإسلامية، وقد بقي حنين النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة موطنه يسري في عروقه وهو يشيد حضارة في المدينة المنورة وفي كل شبه الجزيرة العربية، وفي كل امتداد للإسلام.

إن أحداث السيرة النبوية بكل تفاصيلها، ابتداء ببعثته صلى الله عليه وسلم، ودعوته السرية، ومرورا بالجهر بالدعوة والصدع بالحق، وصولا إلى الهجرة النبوية، وبداية التأريخ للإسلام من قبل ومن بعد، كلها محطات دالة على عظمة الإسلام، وعظمة الانتماء إليه، والاصطباغ بهويته.

كما أن الخصوصية التاريخية للهوية الإسلامية تستمدها من كون تاريخ الإسلام مرتبط بالدين عقيدة وشريعة، قبل أن يكون تاريخ دول ومعارك ونظم سياسية، لأن العقيدة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

هي التي أنشأت تلك الكيانات من الدول والمجتمعات[1]، فهو لا يتعلق بالشخصيات والأوطان فقط، بقدر ما هو متعلق بتاريخ الأفكار، وعليه إن المحور الأساس الذي يدور عليه انتماؤنا هو شخصية النبي صلى الله عليه وسلم كونه المبلغ عن الله تعالى أصول العقيدة وتفاصيل الشريعة، وعلى الهوية الإسلامية أن تتمثل شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، والقيم التي أمر بها، بحكم منزلته في الرسالة الخاتمة، وكذا موقعه بين سائر النبوات السابقة، كونه الرسول الخاتم ذي الشريعة المصدّقة والمهيمنة، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم:" مثلي في النّبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وأجملها وترك منها موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه، ويقولون: لو تم موضع تلك اللبنة، وأنا في النبيين موضع تلك اللبنة ".[2]

المبحث الثالث: القيم الإسلامية من خلال الهدي النبوي وعلاقتها بتشكيل الهوية الإسلامية.

القيم الإيمانية– تَميــزُ للهوية الإسلامية.

وهو الميزة الأولى التّي تتمّيز بها القيم الإسلامية المتخّرجة من مدرسة محـــمّد صلى الله عليه وسلم، باعتبار هذا الفارق الجوهري هو الذّي تنبني عليه جميع الفروق الأخرى التّي تُميّز هذه القيم عن سائر الهويات الأخرى التّي كانت تعيش في المجتمع الإسلامي، لأن هذه

[1]– محمد أمحزون: منهج دراسة التاريخ الإسلامي، ط1، (1422هـــ–2011م)، دار السلام، القاهرة، ص 24.

[2]– الترمذي: السنن، أبواب المناقب، المصدر السابق، 586/5. قال الترمذي عقبه:" هذا حديث حسن صحيح غريب".

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

العقيدة تعتبر الدّافع النّفسي الأول في شعور المسلم بالعـــزّة بهذا الدّين، ومن ثمة تشكّل في هويته القّوة الدّاخلية للعمل بتعاليم الإسلام وتَمثّله قولاً وفعلاً، سواء بين المسلمين فيما بينهم أو مع غير المسلمين من أهل الكتاب، ولقد كان من منهج النّبـــي صلى الله عليه وسلم في بناء الهوية المسلمة وانضباطها بعقيدة التّوحيد، أن يخلّي النّفس البشرية من سائر العقائد الوثنيّة الأخرى، ثم يحلّيها بعقيدة التّوحيـــد وقيمه كبديل إيماني لكلّ اعتقاد سابق، ومن أمثلة ذلك حديث النّبـــي صلى الله عليه وسلم لأبي الحصين: كم إلها تعبد اليوم؟ قال: سبعة؛ ستّةٌ في الأرض، وواحد في السّماء. قال: فأيّهم تعدّ لرهبتك ورغبتك؟ قال: الذّي في السّماء. قال: أما إنّك لو أسلمت علّمتك كلمتين تنفعانك، قال: فلّما أسلم حصين قال يا رسول الله علّمني الكلمتين اللّتين وعدتني. فقال: "قل اللّهم ألهمني رشـــدي وأعـــذني من شـــرّ نفسي"[1]، وفي رواية ابن خزيمة "يستجيب لك وحده وتشركهم معه".[1]

[1]– الترمذي: السنن، ت أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، أبواب الدعوات، ط2، (1395هـــ–1975م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 519/5. قال الترمذي (علل الترمذي الكبير: ترتيب أبو طالب القاضي، ت صبحي السامرائي وآخرون، دط، 1409 هـــ، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 364): "سألت محمدا عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث أبي معاوية. قال محمد (البخاري): وروى موسى بن إسماعيل هذا الحديث عن جويرية بن بشير عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. قال أبو عيسى: وحديث الحسن عن عمران بن حصين في هذا أشبه عندي وأصح". وليس مقصود الترمذي بأن الحديث صحيح، فقد قال في السنن:" هذا حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه"، وذكر ابن أبي حاتم في المراسيل (ت شكر الله نعمة الله قوجاني،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

كما كان صلى الله عليه وسلم يميز الهوية الإسلامية بالارتباط بعقيدة التّوحيـــد في كلّ صغيرة وكبيرة تتعلّق بحياة المسلم بصفة عامّة، ونبـــذ أيّ نوع من الخرافة أو الشّرك من أن يشوب هذه العقيدة أو يكتسحها أو يذهب بصفائها، مهما كانت المتغيّرات التّي تطرأ على عالم الشّهادة الذّي يحياه، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كسفت الشّمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبراهيم، فقال النّاس: كسفت الشّمس لموت إبراهيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الشّمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلّوا وادعوا الله".[2]

دط، 1397هـــ، مؤسسة الرسالة، بيروت،1/38) أنّ أحمد بن حنبل وعلّي بن المديني وأبا حاتم ويحيى بن معين اتفقوا على عدم سماع الحسن من عمران وأورد الترمذي في العلل متابعة لهذا الحديث، قال: وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن عمران بن حصين روى إسرائيل عن منصور عن ربعي بن حراش عن عمران بن حصين عن أبيه عن النّبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذا؛ حدثنا بذلك عبد الله بن عبد الرحمن قال أخبرنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن منصور عن ربعي عن عمران بن حصين عن أبيه أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا محمّد، عبد المطلب كان خيرا لقومه منك، كان يطعمهم الكبد والسنام، وأنت تنحرهم، فقال له ما شاء الله، فلما أن أراد أن ينصرف قال له: ما أقول؟. قال:" قل اللهم قني شر نفسي واعزم لي علي رشد أمري"، فانطلق و لم يكن أسلم ... الحديث.

وقال الألباني: ضعيف.

[1]– ابن خزيمة: كتاب التّوحيـــد وإثبات صفات الرب عز وجل، ت عبد العزيز الشهوان، باب ذكر الدليل على أن الإقرار بأن الله عز وجل في السماء من الإيمان، ط5، مكتبة الرشيد، الرياض، 1/278.

[2]– البخاري: الصحيح، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، 1/354.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

والارتباط بمقام التّوحيـــد في تشكيل الهوية الإسلامية كقيمة إيمانية يولد فيها الحصانة الذّاتية لمواجهة أيّ من المتغيّرات الحاصلة في المجتمعات، والمؤثّرة عليها، ومن ثمّ دعت الضّرورة تنمية الشّعور بالرّقابة الإلهية للفرد المسلم واستحضار تعلّق النّفع والضّرر بالله الواحد الأحد، لتكون هذه الهوية في المحصّلة مهيّأة لتقبل أيّ نوع من البلاء بنفس مؤمنة مخلصة للخالق سبحانـــه، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يوما فقال: "يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احفَظ اللَّهَ يَحفَظكَ، احفَظ اللَّهَ تَجدهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلتَ فَاسأَل اللَّهَ، وَإِذَا استَعَنتَ فَاستَعِن باللَّهِ، وَاعلَم أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمَعَت عَلَى أَن يَنفَعُوكَ بِشَيءٍ لَم يَنفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَد كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَو اجتَمَعُوا عَلَى أَن يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَم يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَد كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَت الأَقلَامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ".[1]

وباعتبار أنّ القيم الإيمانية تتشكّل من مجموع الصّفات القلبية والعقلية والنّفسية، حرص النّبـــي صلى الله عليه وسلم على الإعداد القلبي للمسلم وترسيخ الإيمان فيه، ليكون تمام التّعلق مرتبطا بالله عز وجل، بيـــنّ صلى الله عليه وسلم أنّ التّغير الذّي قد يطرأ على النّفس البشرية ويكون عاملا مؤثّرا في هوية المسلم، إنّما يكون ذلك في القلب ابتداء وتظهر أعراضه على نفسية الفرد، فربط صلى الله عليه وسلم صلاح الانسان بصلاح القلب، إذ ليس المقصود من صلاح الجسد إلا صلاح نفس الإنسان، وعـــبّر النّبـــي صلى الله عليه وسلم

[1]– الترمذي: السنن، أبواب صفة القيامة، 4/667، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح. قال الألباني في تعليقاته (سنن الترمذي: تعليق الألباني، عناية مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار المعارف، الرياض، ص 567): صحيح.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

عـــن ذلك بقـــوله:" ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهـــي القلب"[1] ، وبما أنّ الصلاح والفساد المرتبط بالجسد متعلّق بصلاح أو فساد القلب، فإنّ الصّلاح المقصود للقلب ليس باعتباره عضوا؛ فيلزم منه أنّ الصّلاح الجسدي المقصود ليس صلاح الجوارح، إنّما هو صلاح العقل المرتبط بالقلب، الذّي بصلاحهما تستقيم الشّخصية وتستوي.

القيم التربوية والسلوكية من خلال السنة النبوية.

أ- قيمة الحوار: الإسلامي–الإسلامي، والحوار الإسلامي- الآخر.

يعد الحوار أسلوبا حضاريا للتواصل بين الإنسان وأخيه، فهو قيمة رسخها القرآن الكريم في العديد من آي الذكر الحكيم، وتمثله النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه ودعوته، قصد التعليم والتوجيه للأمة أفرادا وجماعات، مراعيا في ذلك طبيعة شخصية المحاور وطريقة تفكيره، لأجل معرفة المعادلة النفسية، ومعرفة مداخلها، للوصول إلى الإقناع، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلك سبيل التدرج في التعليم بالحوار، وذلك من رحمته صلى الله عليه وسلم بالذي يحاوره مسلما كان أو كافرا، مراعيا في ذلك قبول المحاور، والتلطف في الحوار

[1]– مسلم: الصحيح، ت محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 3/1219، قال الإمام النووي:" قالوا المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد"، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ، 11/29.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

معه، والإجابة عن تساؤلاته، وتقديم الحجة والدليل، وعدم التناقض في الحوار، ومراعاة حال المخاطب واستخدام وسائل الإقناع، مع البشاشة وطلاقة الوجه، والترحيب بالمحاور، ومناداته باسمه، في رفق ولين ومسامحة ورحمة، وبشر وملاطفة، ولكل ذلك شواهد كثيرة من السنة النبوية، يعسر المقام للتمثيل لكل واحد منها، وكتب السنة طافحة بالأمثلة[1]، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله فقال: يا محمدُ، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك.

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه؛ تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمواَتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**".[2]

وهذا مثال لقبول الحوار مع الآخر ولو كان على غير الإسلام، قبولا للحق وانتصارا له، وترغيبا فيه، ودعوة للإسلام دون عصبية للعرق أو اللغة أو الدين.

ومثال التدرج في الاقناع حديثه مع الرجل الذي جاء يستفتيه عن امرأته وقد ولدت غلاماً أسود، فأنكر ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ألك إبل؟ قال: نعم، قال: فما

[1]– للتوسع ينظر: فادي رفيق حسن نور، منهج الحوار في السنة النبوية، رسالة ماجستير، غ منشورة، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ص 24 وما بعدها.

[2]– البخاري: الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {وما قدروا الله حق قدره}، 126/6.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

لونها؟ قال: سود، قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، قال: فأنى له ذلك؟ قال: عسى أن يكون نزعه عرقه، قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عرقه.

والشواهد على استخدامه صلى الله عليه وسلم للحوار بمختلف مناهجه كثيرة، فعلى الحركات الإسلامية والدعاة خصوصا والمسلمين عموما، سلوك هذا المنهج، وينبغي ألا يبقى مجرد شعار يحمل ويرفع في المناسبات الخطابية، بعيدا عن كل أنواع الإقصاء والإبعاد، بين المسلمين فيما بينهم، ثم بينهم وبين من يختلف عنهم في العقائد والأديان.

ب– قيمة التعايش الحضاري العالمي من خلال الهدي النبوي.

بيّن القرآن الكريم شرعية التعايش بين جميع الفئات المكونة للمجتمع الإسلامي، بما في ذلك من كان منهم غير مسلمين، وضمنت الشريعة لهم حق العيش المشترك مع المسلمين، ما داموا محافظين على أمن المجتمع المسلم، وملتزمين بحدود الشريعة، كما ضمنت السنة النبوية والسيرة ذلك من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وتجسيده لذلك في المجتمع المدني، من خلال تحقيق التعايش الحضاري الإسلامي إسلامي، وكذا الإسلامي مع الآخر، ضمن حدود الشريعة الإسلامية، من خلال إلزامية حسن الخلق مع جميع الناس، ولو كانوا على غير دين الإسلام، فقد تمثل ذلك في أمر النبي صلى الله عليه وسلم أسماء بنت الصديق حين جاءته تسأله، وتقول: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك».[1]

[1]– البخاري: الصحيح، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين، 3/164.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

وهذا الأمر منه صلى الله عليه وسلم ينبثق من رحمته وكريم خلقه، ومن معالم التعايش ضمان العدل مع غير المسلمين وعدم انتقاص حقوقهم، وجعل نفسه الشريفة خصما لمن فعل ذلك، فقال: «من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة»[1]، فأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خصما لمن يظلم معاهدا أو ذميا، فهذا من تمام الرحمة بالخلق، وتأسيسا للتعايش مع جميع الناس في إطار الشريعة الإسلامية.

ومن مستلزمات التعايش الحضاري العالمي ضمان التكافل الاجتماعي بين فئات المجتمع قد أمر صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتصفوا بصفة الرحمة، في تعاملهم فيما بينهم ومع غيرهم، بل وحتى مع الحيوان، فقال صلى الله عليه وسلم «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[2]، وكلمة الناس لفظة عامة تشمل كل أحد، دون اعتبار لجنس أو دين.[3]

[1]– أبو داود: السنن، كتاب الامارة والخراج والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، 170/3.

[2]– البخاري: الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تبارك وتعالى: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى}، 115/9.

[3]– منقذ بن محمود السقار: التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط 1، (1427 هـ – 2006 م)، ص 37.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

قال ابن بطال معقبا على الحديث:" في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفى كل حيوان ".[1]

من خلال هذه الشواهد وغيرها يتبين أن السنة النبوية ضمنت التعايش الحضاري بين المسلمين وبين غير المسلمين، كقيمة إنسانية مشتركة أساسها ضمان العهد، وحسن العشرة والجوار.

المبحث الرابع: بين كونية القيم وخصوصية الهوية الإسلامية.

نحاول في هذا المبحث بيان معنى خصوصية الهوية وكونية القيم الإسلامية.

كونية القيم الإسلامية من عالمية رسالة الإسلام:

تعني القيم الانتماء الثقافي والحضاري للإسلام كدين بعقيدته وشريعته، ولقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون الإسلام خاتما ومصدقا ومهيمنا على سائر الأديان الأخرى، وجرت حكمته أن يدعى إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولما كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لا تقتصر على بيئة محددة ولا طائفة مخصوصة، بل هي رسالة عالمية، لقوله رضي

[1]– ابن بطال: شرح صحيح البخاري، ت أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط 2، (1423هـ – 2003م)، مكتبة الرشد، الرياض، 219/9.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

الله عنه:" أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة"[1]، ويقول صلى الله عليه وسلم:" والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي وبما أرسلت به إلا كان من أصحاب النار".[2]

والشاهد منهما بعثته إلى الناس كافة، فكل من انتسب إلى الإسلام بقيمه وأحكامه، مطلوب منه شرعا أن يلتزم مقتضيات الإيمان ولوازمه، وبالتالي يتمثل القيم الإسلامية ويدعو إليها، قولا وعملا وسلوكا، فالكونية تقتضي المنافاة مع أي شكل من أشكال التعصب، عرقيا كان أم قوميا أم لغويا، فـــ" الإسلام (كانتماء) هو القاسم المشترك الوحيد لأمة متكاملة كبرى، ولا شيء غيره ... وإذا ما نحينا الإسلام جانباً ، فمن المستحيل أن نجد قاسماً مشتركاً آخر نتفق عليه وتلتقي عنده الأمة الإسلامية، فلا الأرض ولا اللغة ولا التاريخ يمكن أن تكون القاسم المشترك لأمتنا، وذلك لأن الأرض واللغة والتاريخ تعتبر امتداداً للإسلام".[3]

[1]– البخاري: الصحيح، أبواب المساجد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)، 168/1.

[2]– مسلم: الصحيح، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، 134/1.

[3]– عمر عبيد حسنة: فقه الدعوة – ملامح وآفاق، سلسة كتاب الامة، 1408هـــ، 1/ 72.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

فبمقتضى كونية رسالة الإسلام وعالميتها تكون القيم الإسلامية كونية عالمية متميزة بخصوصية هوية المسلم من حيث الانتماء للدين كمعيار أول لتحديد معالم هذه الهوية، ولا فرق بين المنتسبين إلى هذه الهوية مهما كانت لغاتهم أو أعراقهم أو ألوانهم، فالفارق يقدر بمدى تقوى الله تعالى والتعلق بتوحيده وعبوديته، فعن أبي نضرة قال حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى".[1]

خصوصية الهوية الإسلامية، تميز للقيم الإسلامية:

تعني الخصوصية في الهوية التفرد والتميز بجملة من الخصائص المادية أو البشرية، تجعل من الهوية الإسلامية تفترق عن باقي الخصوصيات لدى الهويات الأخرى، ولعل ما يميز الهوية الإسلامية ارتباطها بخصائصها السالف ذكرها، وأول خصوصية تتسم بها القيم الإسلامية هو الارتباط بعقيدة توحيد الله تعالى، والارتباط بالإسلام خاتم الأديان السماوية، وهذا الذي يعتبر الميزة الأساسية التي تجلي الخصوصية للقيم الإسلامية، وإن كانت الهويات الأخرى قد يكون منطلقها مرجعية دينية، إلا أن الهوية الإسلامية تتمايز بإلهية وسماوية المرجعية لارتباطها بالإسلام.

[1]– أحمد: المسند، 38/474.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

والارتباط بمقام التّوحيـــد في القيم الإسلامية يولد فيها الحصانة الذّاتية لمواجهة أيّ من المتغيّرات الحاصلة في المجتمعات، والمؤثّرة على القيم السّوية، ومن ثمّ دعت الضّرورة تنمية الشّعور بالرّقابة الإلهية للهوية الإسلامية واستحضار تعلّق النّفع والضّرر بالله الواحد الأحد، لتكون هذه الهوية في المحصّلة مهيّأة لتقبل أيّ نوع من البلاء بنفس مؤمنة مخلصة للخالق سبحانه وتعالى، وهذا ما يميز الهوية الإسلامية عن غيرها، عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فقال:" يا غلام إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".[1]

وبما أن الهوية الإسلامية ترتبط وتتميز بمقام التوحيد، فإن ما يضمن خصوصية هذه الهوية هو الارتباط بالقيم والأخلاق من منطلق توحيدي إيماني، عكس الهويات الأخرى التي ترتبط بالقيم المادية بالدرجة الأولى رغم بشرية مصدرها، وتجسيد المنفعة كمعيار قيمي، بينما الهوية الإسلامية أساس اعتبار القيم فيها هو الإيمان ابتداء، فالنبي صلى الله عليه وسلم اعتبر أن الحياء وهو قيمة حضارية في المجتمع من شعب الإيمان، " الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء

[1]– سبق تخريجه.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

شعبة من الإيمان"[1]، والأحاديث التي تجعل من القيم الأخلاقية والسلوكية مرتبطة بالإيمان أكثر من أن تحصى، ولعل ارتباط الهوية الإسلامية بالقيم يجسد معنى كونيتها بحكم أن القيم والمبادئ من المشترك الإنساني، ولا يعني ذلك احتقار هوية المختلف أو رفضه، بل إن قيم الهوية الإسلامية تقبل الآخر وتحفظ له حقوقه وانتماءه الحضاري في ظل أحكام الشريعة الإسلامية.

وعليه يمكن القول إن العلاقة التي تربط بين خصوصية الهوية الإسلامية وكونية القيم، هي علاقة تكاملية، مبنية على مبدأ التسامح، فهي في ظل الاختلاف والتنوع الحضاري تضمن التواصل بين الهويات الإنسانية.

الخاتمـــة:

القيم الإسلامية هي جملة الخصائص والمزايا التي تتميز بها الهوية الإسلامية، ولقد بينت السنة الشريفة أهم معالم القيم الإسلامية من خلال ارتباطها بأعظم الأديان وآخرها، ومن ثم كان لها من الخصوصية ما تتميز به عن سائر القيم البشرية، ولعل ما تتميز نذكر ما يلي:

–ارتباط القيم الإسلامية بعقيدة التوحيد، وجعل ذلك أهم ميزة لها، تنفرد بها، ولا تماثلها أي هوية أخرى، سواء خضعت لمرجعية دينية، أو أي مرجعية أخرى.

[1]– البخاري: الصحيح، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، 12/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

–ارتباط القيم بالمبادئ المنبثقة عن الشريعة الإسلامية، والتي تضمن لها الكونية بحكم أن الكثير منها – أي القيم– مما يدخل ضمن المشتركات الإنسانية بين الهويات.

–كونية القيم الإسلامية تنبثق عن عالمية الإسلام، وعليه فإن الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى القيم والهوية الإسلامية.

–تتأتى خصوصية الهوية الإسلامية من خلال ما تتميز به من خصائص، الانتماء للإسلام والوحدة الثقافية والخصوصية التاريخية.

وصلّى الله وسلم على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مسرد المصادر والمراجع:

–ابن أبي حاتم: المراسيل، ت شكر الله نعمة الله قوجاني، دط، 1397هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

–ابن بطال: شرح صحيح البخاري، ت أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط 2، (1423هـ – 2003م)، مكتبة الرشد، الرياض.

–ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة.

–ابن خُزَيمة: الصحيح، ت محمد مصطفى الأعظمي، ط3، (1424 هـ – 2003 م)، المكتب الإسلامي.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

-ابن خزيمة: كتاب التّوحيـــد وإثبات صفات الرب عز وجل، ت عبد العزيز الشهوان، ط5، مكتبة الرشيد، الرياض.

-ابن منظور: لسان العرب، ط 3، 1414 هـــ، دار صادر، بيروت.

-ابن هشام: السيرة النبوية، ت طه عبد الرؤوف سعد، دط، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

-أبو داود: السنن، ت شعيب الأرناؤوط، مَحَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، (1430 هـــ - 2009 م).

-أبو طالب القاضي: ترتيب علل الترمذي الكبير، ت صبحي السامرائي وآخرون، دط، 1409 هـــ، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

-أحمد بن حنبل: المسند، ت شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، (1421 هـــ - 2001 م)، مؤسسة الرسالة.

-البخاري: الجامع الصحيح، ت مصطفى ديب البغا، ط3، (1407 هـــ-1987م)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.

-الترمذي: السنن، ت إبراهيم عطوة عوض، ط2، (1395 هـــ - 1975 م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

–الترمذي: السنن، ت أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، أبواب الدعوات، ط2، (1395هـ– 1975م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

–جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين بيروت، ط5، 1980.

–جعفر شيخ إدريس: المواطنة والهوية، مجلة البيان، ع 211، ص 09، نسخة المكتبة الشاملة.

–حاكم المطيري: المحافظة على الهوية الإسلامية في ضوء السنة النبوية http://www.dr-hakem.com/portals/Content/?info=TmpJM0psTjFZbEJoWjJVbU1RPT0rdQ==.jsp

–الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط1، (1411 هـ– 1990م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

–رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1997.

–سنن الترمذي: تعليق الألباني، عناية مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار المعارف، الرياض.

–الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، ت جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1 (1403هـ –1983م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

–عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984.

–عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، دار الشروق القاهرة، الطبعة الثانية، 2001.

–عمر عبيد حسنة: فقه الدعوة – ملامح وآفاق، سلسة كتاب الامة، 1408هـ.

–فادي رفيق حسن نور، منهج الحوار في السنة النبوية، رسالة ماجستير، غ منشورة، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين.

–الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ت محمد نعيم العرقسُوسي، ط 8، 1426 هـ – 2005 م، مؤسسة الرسالة لبنان.

–محمد أمحزون: منهج دراسة التاريخ الإسلامي، ط1، (1422هـ–2011م)، دار السلام، القاهرة.

–مساعد بن عبد الله المحيا: القيم في المسلسلات التلفازية، ط1، 1414هـ، دار العاصمة، الرياض.

–مسلم: الصحيح، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

–منقذ بن محمود السقار: التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط 1، (1427هـ – 2006م).

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:33 العدد:01 السنة:2019 الصفحة:137–169 تاريخ النشر:30–05–2019

-النسائي: السنن الكبرى، ت حسن عبد المنعم شلبي، ط1، (1421 هـ - 2001 م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

-النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط2، 1392هـ.

-يوسف العايب: إشكالية الهوية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004م.